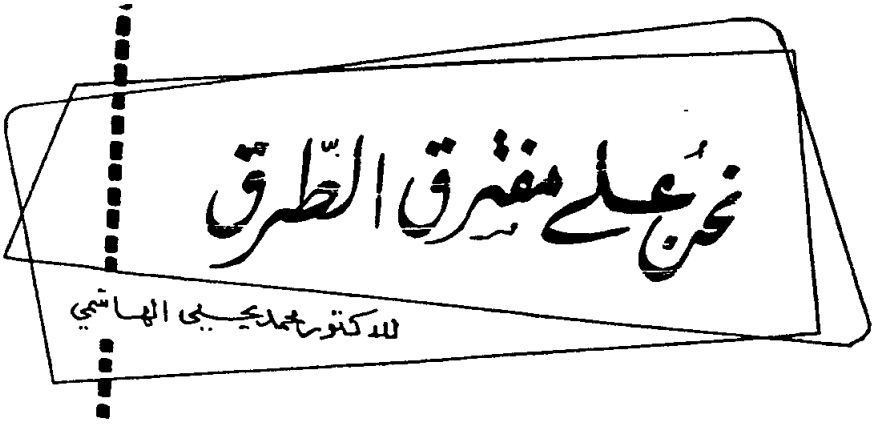

رئيس جمعية الأبحاث العلمية
حلب (سـوريـا)

ما كادت الحرب العالمية الاولى تضع اوزارهـا حتى شاهدنا يقظة فى دنيا العرب ووعيا قوميا وحاجة ماسة لتبديل الاساليب القديمـة بأساليب جديـدة تتمشى مع تطلبات الزمن ورغبتنا فى النهـوض الى مصاف أرقى الامم . ولكن سرعان ما سرنا فى هـذا الطريق باحتدام الصراع بين القديم والحديث ، بيـن تراث آل الينا عن السلف الصالـح الذين جـددوا واجتهدوا وسعوا وناضلوا وكان لهم شانهـم فى تلك الازمنة الغابرة وكانوا نبراسا فى ظلمـات القـرون الوسطى ، بل بنوا ذلك الجسر الموصل تراث الاوائـل بالعصر الحديث ، وبين المدنية العصرية التي نشاهد آثارها واضحة جلية للعيان ، لا يقدر أن ينكرها منكـر ولا ان يجحدها جاحد .

ان تفـوق الغرب على الشرق كان السبب فى ان يشد كثير من ابناء امتنا الرحال الى الغرب ، للارتشاف من مناهله العلمية وليطبقوا ما تعلموه علما وعملا عنـد العودة الى الوطن . وعند العودة الى الوطن ذهبـوا مذاهب شتى ، منهم من وجد الطريق الى وطنه وبلاده، وبقي بروحه عربيا مخلصا ، فافاد البلاد بعلمه وافاض من روحه الاصيلة الوثابة . فكان من جملة العوامـل فى رقي البلاد وتقدمها . ومنهم من أصبح غريبا بروحه وتفسـه ، فشن حربا شعواء على كل مظهر من مظاهـر الشرق ، فمقت البلاد ومقتته البلاد ، فكنـا مـن الخاسرين له ولجهوده . كم فرد من امتنا هجر وطنـه لانه لم يجد مجالا للعمل فيه ، فخسرناه وكسبه غيرنا. وهناك من كان ضائعا بين الشرق والغرب ، وموزعـا بين عالمين ، لا الشرق يعجبه ولا الغرب يطربه ، يشعر بالتناقض الفكرى فى نفسه، ذائقا الم الانقسام الباطنى على اشده ، وقد يحدث هذا الانقسام المؤلم التوتـر العقلي الذي يفضي الى اصابة الارادة بالشلل ويكون الباعث على الكسل مع فقدان سرور العمل والانتـاج وسيادة التردد والملل . ولعل ذلك الانسان ينطفـىء بالتدريج كما ينطفىء المصباح الذي يستهلك زيته دون ان يكون له مدد . وان هذا الانطفاء هو اشد كارثـة واعظم فاجعة من الانطفاء المفاجيء الذي يشعر الانسان بغتة بظلمة قاتمة بعد نور وضاء ، فيكون باحثا عن ذلك النور الساطع عندما يحس بفقدانه الآلـي . اما فـي الانطفاء التدريجـي ، فيستـدرج الانسان من حيث لا يشعـر الى الظلمـة .

هكذا نجد فى يقظتنا الحديثة طرقات شتى وسبلا مختلفة ومشاكل معقدة ، يحتـم الواجب القومـي والانساني علينا ايجاد الصراط المستقيم الموصل الـى الهدف . وان نقوم فى حل مشاكلنا بصورة مضبوطـة وبسرعة فائقة ، لان الزمن الحاضر يكره الابطاء والاهمال ويتطلب الانجاز السريع . وان الواجب الملقـى على كاهلنا هو اشد خطورة من واجب الغرب فى انتقاله من جمود القرون الوسطى الى النهضـة الحديثـة ، لان الغرب تدرج فى ذلك . اما نحن فاننا مضطرون الى اخذ النتائج كما هي واقتباسها اقتباسا تاما . من اجل ذلك يقتضي ان تكون الحلول من اجلنا سريعة ومضبوطـة فى آن واحـد .

نحن على مفترق الطرق فى تبديل المفاهيم القديمة بمفاهيم جديدة تتفق مع الزمن . كنا فى القديم نكـرم

وفادة الضيف ونغالي في ذلك ، فنقدم للغريب مايشتهي ونهمل القريب ، ويقول الشاعر حافظ ابراهيم في هذا الصدد :

امة قد فت في ساعدها
بغضها الاهل وحب الغربا

وان بقاء هذه السجية في بلادنا دون تعديل ودون يقظة فكر ، قد يجعل بلادنا مطمحا للغرباء الذين يجعلون الحياة صعبة على ابناء الوطن . واننا لنجد في البلاد الاسكندينافية كالنرويج مثلا ، قوما يعرفون كرم الضيف ، ولكنهم يتخذون كل الاسباب لقطع دابر منافسة الاجنبي ، فانهم لا يألون جهدا في الحذر من ان يقطع عليهم الغريب طريق العيش ، فممنوع على كل اجنبي ان يدخل بلادهم للكسب الا باذن خاص ، فنجدهم رغم اكرامهم لوفادة ضيوفهم عارفين بأمور اقتصادياتهم ، لا يدعون مجالا للغير ليسد في وجوههم باب الكسب ، ان مثل هذه التدابير تتخذ في سويسرة وانكلترة وغيرهما من البلدان ، وما احوجنا اليها في كثير من الاحيان .

كان من مفهوم المروءة في القديم ايصال العدو الى مأمنه عندما يستجير بنا خائفا مذعورا . ان مثل هذه السجية هي من كرم الاخلاق ، وقد تغنى بها العربي قديما ، ولكنها لا تنفع اليوم ، وتكون السبب في ان يطمع العدو فينا ويتغلغل في قلبنا اذا ما نشبت الحرب بيننا وبينه ، لانه عندما يقع في ازمة او يتحرج موقفه يستجير فنجيره . ان هذه الاستجابة تنم ولا شك عن خلق كريم ، ولكنها تعطي الاطمئنان لمن يريد أن يتربص بنا الدوائر ويتجسس علينا ، فيطلع على نواحي القوة فيحذر شعبه من الاصطدام بها ، ويدل على نواحي الضعف ليسحقنا بها سحقا ، فنحن هنا على مفترق الطرق . اما ان نعدل مفاهيمنا الماضية، واما ان نرضى بتقوية التيارات المعادية او ان ناتي بمفهوم جديد لا نترك فيه اى مطمع لطامع ، فنكون بذلك رحماء بيننا وبين من يود مخلصا ان يحقن الدماء في العالم ، اشداء على من يريد سحقنا وابادتنا من الوجود والتطاول على كرامتنا . ويجب علينا في الوقت ذاته ان لا نضيع اخلاقنا القديمة والتي فتحت لنا قلوب البشر واوجدت لنا اصدقاء في جميع اطراف العالم ، واننا اذا اضعناها نكون في الحقيقة قد اضعنا ذاتيتنا . فنحن اذن نخشى من خسران ذاتيتنا .

وقد ورد في الانجيل : « ماذا يفيد لو ربحت العالم وخسرت نفسك » . وتذكيرا بتلك المطالب السامية والتي يجب علينا ان لا نضيعها الفت كتابا بعنوان : « المثل الاعلى في الحضارة العربية » (1) . فبينت فيه مثلنا العليا في الدين والفلسفة والتصوف والادب والعلوم الايجابية . والطبيب المثالي حنين بن اسحاق قد رضي بالموت على أن يخون مهنته ، فقد طلب الخليفة العباسي منه دواء يريد قتل عدوه ، فابى حنين اعطاء ذلك رغم الترغيب بالمال والتهديد بالقتل . ولما سأله الخليفة عن سبب الامتناع عن تقديم السم ، اجاب حنين ، بأن هناك سببين : الدين ومهنة الطب ، الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع اعدائنا ، فكيف بأصحابنا واصدقائنا . والصناعة تمنعنا من الاضرار بابناء الجنس البشري لانها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم ، ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهدا مؤكدا بايمان مغلظة الا يعطوا دواء قتالا او مؤذيا ، ولم ار ان اخالف هذين الامرين من الشريعتين ، ووطنت نفسي على الموت ، ما كان الله ليضيع من بذل نفسه في طاعته وسوف يثيبني . فاجاب الخليفة انهما لشريعتان جليلتان وامر بصلته وحمل المال بين يديه . ثم تابعت بحثي في المثل الاعلى في المعرفة النفسية والدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ورسالة العلم بعنوان: « العلم يرفع المستوى » ، وتراث الحضارة العربية . وهذا الفصل عبارة عن مقال ترجمته عن الفرنسية نشرته مجلة الاونسكو قبل انعقاد مؤتمره في الوطن العربي في بيروت تشرين الاول (اكتوبر) 1948) . وعقدت فصلا عن خالد بن الوليد مثلنا الاعلى ، فعندما عزله عمر ظل يجاهد بنفس الحماس والاخلاص ، ولما سألوه عن سبب ذلك اجاب بانه لا يقاتل في سبيل عمر بل لاعلاء كلمة الله . وعالجت موقف ابي بكر من موت الرسول والمثل الاعلى في الحكم فاتخذت مثلنا الاعلى عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . ولخصت كتاب ظل الله في الغرب للكاتبة سغريد هونكه الذي ترجم منذ مدة قريبة الى اللغة العربية وتطرقت الى أن الامة العربية امة وسطى مشيرا الى الآية القرآنية الكريمة: « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . » وعقدت فصلا عن ان الحضارة العربية نفسها هي مثل اعلى لانها لعبت في الماضي بالمقارنة مع الحضارات القديمة اكبر دور في التاريخ . واخيرا ذكرت وضعنا الحاضر وكيفية معالجته و « العرب في نهضتهم الاخيرة » . ومما قلته:

---

1) نشرته دار الكتاب العربي ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد 1964 .

« لا يوجد زمن من الازمنة بحاجة الى أن تتألف فيه قلوب ابناء الوطن على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم كزماننا الحاضر ، وبذلك نتكاتف على العمل المشترك بدلا من ان يضرب بعضنا وجوه بعض . » وبينت اهمية الثبات على المبدأ . واخيرا وجهت نداء الى المربين يلزمهم تلقين حب الوطن ، ويظهر أن كلماتي ذهبت مثل صيحة في واد أو نفخة في رماد ، لان الصدى الذي وجدته من عالم الغرب كان اكثر من عالم العرب ، وهذا يدل على اننا لا نزال نغط في سباتنا . فنحن اذن على مفترق الطرق ، اما ان نستيقظ حقيقة وندرك متطلبات العصر الحاضر ، واما ان نتابع نومنا فنصبح نسيا منسيا .

نحن نتغنى بالذكاء الآني المفاجيء، وقد جر علينا الغلو في ذلك اهمال الدراسة الجدية والتصاميم المدروسة . وكان الارتجال رائدنا في كثير من اعمالنا . جر علينا هذا الارتجال مصائب عديدة اوقعتنا في بلبلة كنا في كثير من الاوقات لا نعرف الخروج منها . وقد مضى زمن الارتجال والعبقرية العفوية ، واتى زمن الدرس الجدي الشامل من كل الوجوه والاحتمالات .

ان من اهم الامور في وقتنا الحاضر توحيد المصطلحات العلمية ، كي نتخلص من البلبلة اللغوية التي هي اشبه ببنائي برج بابل ، فعند انتهائهم من البناء نظرا لابتعادهم عن بعضهم بعضا لم يفهوا لغة بعضهم . وان اهم عمل نقوم به (كما سبق ان بينت ذلك في المؤتمر العلمي العربي الثالث المنعقد في بيروت عام 1957) بأن يعهد ذلك الى متخصصين في العلوم الذين عانوا التدريس في هذه المادة مدة طويلة ، سواء كان ذلك في التعليم العالي أو التعليم الثانوي :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن الضروري تاليف الكتب المفصلة بهذا الخصوص ووضع كشاف ابجدي لتكون هذه الكلمات حية . ولا بد من اقرار كثير من المصطلحات الاجنبية وعدم اضاعة الوقت في البحث عن الكلمات النابية والشاذة ، بل الاهتمام بما يمكن ان يعرفه الجمهور ، فمثلا لقد اصطلحوا على كلمة المعدن الذي هو ذلك الجسم اللامع البراق بالفلز . وفي الحقيقة ان هذا خام المعدن ، كذلك اختاروا في كلمة مينرال Minéral فيمكن تسمية ذلك بالفلز او المستعدن (1) . والمعدن هو الجسم البراق المعروف Métal وهذا هو في عرف الناس المعدن فليس من الضروري تبديل هذا المفهوم . ولا بد لي بخصوص التسميات اللغوية اعطاء بعض الملاحظات :

من الضروري تجنب ذكر كلمة نشادر التي يكثر ذكرها في كتب الكيمياء المقررة ، لان النشادر هو ليس امونياكا بل كلور الامونيوم $Cl\ N\ H_4$ الذي يقابله لفظ Salmiaque . اما الامونياك فهو روح النشادر $N\ H_3$ لا النشادر كما يسمى حمض كلور الماء روح الملح . ان تسميتنا للنشادر تارة $N\ H_3$ امونياك وتارة امونيوم $N\ H_4$ يبعدنا عن روح الدقة ويوقعنا في بلبلة نجهل بها اللغة العامية والعلمية ، فينتج عن ذلك الالتباس بين كلور الامونيوم $Cl\ N\ H_4$ الذي هو في الحقيقة النشادر وبين الامونياك $N\ H_3$. حتى ان غاز النشادر هو غاز كلور الامونيوم وليس بامونياك . وعندنا في المثل العامي : « عند البدو كله صابون . . . »

وهناك ايضا فرق كبير بين الامونياك $N\ H_3$ الذي يوجد بصورة حرة وبين مركبات الامونيوم التي نسميها كلها بالنشادر ، فالامونيوم $N\ H_4$ هو جذر لا يوجد بصورة حرة بل عرفت مركباته مثل كلور الامونيوم وكبريتات الامونيوم .. الخ وهو شبيه بالمعادن القلوية مثل الصوديوم (Na) والبوتاسيوم (K) حتى انه امكن استعماله حرا بشروط خاصة ، ولكن سرعان ما يتفكك . حتى ان محلول الامونياك في الماء يشكل ماءات الامونيوم $NH_4\ OH$ شبيه بماءات الصوديوم او البوتاسيوم $Na\ OH$ ، $K\ O\ H$ واذا قلنا محلول النشادر كما اصطلحت عليه الكتب في سوريا بمحلول الامونياك قد يتبادر الى الذهن محلول كلور الامونيوم في الماء . واذا اصطلحنا بالنشادر ما يقابل الامونياك ، فيكون ذلك ايجاد لغة جديدة لا يعرفها احد ولم تذع الاذاعة الكافية في عامة البلدان العربية ، فضلا عن ذلك فهي توقعنا في بلبلة جديدة من جراء عدم تفريقنا بين الامونياك والامونيوم . واذا تعصبنا للفظة النشادر (بضم النون وفتح الدال) لاصلها الايراني والتي تعود الى كلمة سنسكريتية هندية نافاسار Navasara ، فان كلمة آمون تعود الى الاله المصري عمون ، وعلى كل ففي العلم لا يوجد تعصب وان كلمتي آمونياك وآمونيوم مصطلح عليها ومفهومة من جميع الكيميائيين .

---

1) اما تسمية اللافلز بما يقابل Métalloïde والذي اصطلح عليه بشبه المعدن فهو خطأ محض .

ان اضافة الياء للدلالة على الحد الادنى من المركبات ، خطأ فادح ، لان جميع المصطلحات فى جميع الامم تسمى الحد الادنى فى ذلك مثل Ferrique فليس من المصلحة الشذوذ ؟ !

ان استقامة كلمة كحول التي انتقلت الى اللغات الاجنبية ليس من « الفول » كما يظن الكثيرون بل من الكحل وذلك للطفه . واول من استعمل هذه التسمية هو برسيلزوس (1493 – 1541) الطبيب السويسري الشهير كما جاء فى كتاب هولميارد عن صانعي الكيمياء (Makers of Chimestry, E. J. Holmyard, Oxford 1931, p. 111/112).

حيث ورد ان برسيلزوس هو اول من اعطى اسم الكحول لروح الخمر . وفي الاصل هو اسم لطلاء العين الاسود الذي تستعمله نساء الشرق . والكحل أو الكحول اكتسب بالتدريج هذا الاسم معنى لكل مسحوق ناعم ومجزأ . وبعد ذلك بالتحويل الطبيعي اصبح هذا المدلول بمعنى « أحسن وادق » شيء فى المادة . ومن المحتمل ان برسيلزوس كان ينظر الى روح الخمر كأنه « احسن جزء » فى الخمر فسماه كحول الخمر أو بتعبير بسيط الكحول ، وبالطبع لقد ثوبر على استعمال هذه الكلمة ، وان المدلول القديم صار اليوم مهجورا تماما . »

وقد نبهت الى ذلك مرارا عديدة وخاصة في المؤتمر العلمي العربي الثالث .

في انحلال المواد الدسمة فى البنزين من الضروري تبيان نوع البنزين هل هو البنزين الكيميائي C_6H_6 المستحصل من تقطير الفحم الحجري ، فيقتضي تسميته بنزين القطران أو البترول اما وقود السيارات فهو غازولين واذا اردنا تسميته بالبنزين ايضا يقتضي تسميته بنزين النفط . .

وهناك ايضا الاثير البترولي الذي يستعمل ايضا لاستخلاص الزيت من البذور النباتية فاستعمال كلمة بنزين لكل هذه المسميات هو خطأ فادح .

من الخطأ تسمية الآنيلين $C_6H_5NH_2$ بالنيلين، حيث يقع الالتباس بينها وبين النيلة Indigc التي يختلف تركيبها عن الآنيلين تماما . فمادة الآنيلين التي هي أساس الصباغات الآنيلينية تستحصل من البنزين (المستخرج من تقطير الفحم الحجري) بنترجته وبعد ذلك بمعاملته بالهيدروجين الوليد . أما النيلة التي تستخرج قديما من نبات النيلة والمستعملة فى الصبغ باللون الازرق ، فالمادة الاصلية فى استخراجها صنعيا هي النفتالين التي هي عبارة عن حلقتين من حلقات البنزين المذكور ، بطرق معقدة لا مجال لتبيانها هنا . ومما يجب الاشارة اليه ان الصباغين فى بلادنا (سوريا) يعرفون جيدا التفريق بين النيلة والآنيلين، فيستعملون الاولى فى صبغ الازرق والثانية للتلوين باللون الاسود بمعاملتها مع ثاني كرومات البوتاسيوم ولا ادري ما هو المسوغ لتسمية التكنيك Technique بكلمة تقنية ، أوليس الافضل الرجوع الى الاصل !

يجب علينا ادراك قيمة الزمن فى عصر السرعة ، وعندي انه من الضروري اخذ المصطلحات الحديثة كما هي فى كثير من الاحيان ، فنحن محتاجون لدراسة الكتب الاجنبية ، واذا اصطلحنا على المكتشف الجديد بغير ما عرف به يبعدنا ذلك عن الركب ، ويكون حجر عثرة فى سبيل تقدمنا فى العلم ، فبدلا من تضييع الاوقات الثمينة مثلا فى ايجاد مفهوم جديد للبنسلين ان نقوم فى استحصاله ومعرفة كنهه ومعياراته . وعندما يتاح لنا اكتشاف جسم جديد عند ذلك لنا الحق ان نصنع له مفهوما جديدا نرغم غيرنا عليه .

وفى وضع تخلفنا علينا مجاراة القافلة ، ولم تكن اجدادنا قديما متعصبة فى قبول اللفظ الاعجمي فقالوا جغرافيا وفلسفة وارطماطيقا . . . الخ فما الداعي لتعصبنا نحن اليوم ، مع بعدنا عن العلوم بعدا عظيما . اتذكر عندما كنت فى لجنة الكيمياء من المؤتمر العلمي العربي الثالث واردنا ايجاد مصطلح جديد من اجل كلمة Polymérisation ، وبعد اخذ ورد ونقاش طويل اضطررنا الى اخذ كلمة بامرة ، نعم قد يقتضي نحت الكلمة لكي يسهل نطقها على اللسان العربي ، ولكن يلزم عدم اضاعة الاوقات فى الكلمات بل من الضروري الترجمة ، حتى يقتضي عدم الاكتفاء بالترجمة بل فتح مخابر لتفهيم القوانين العلمية ، لان هذه العلوم من العلوم التجريبية. ويمكننا الاعتناء بما هو مهم فى الصناعة ورفع المستوى الاقتصادي . نعم ان العلم للعلم ، ولكن من الضروري ان يتقدم ذلك بعض مراحل تطبيقية هامة من شأنها جذب الانسان للعلم .

وفي البناء العلمي يلزم ان نبتديء فى البناء من الاسفل لا من الاعلى ، كما سبق ان حللت ذلك فى مجلة العلوم (عدد 12 ، عام 1967 ، ص 63 وما بعدها) . واني بعد رحلة علمية الى ديار الغرب (وخاصة المانيا الاتحادية) دامت ما يقرب من اربعة اشهر ، زرت معاهد الكيمياء والجيولوجيا والمينرالوجيا بصورة خاصة ، فأيقنت بأن المسافة بيننا وبين الامم المتقدمة شاسعة جدا . واذا كنا جادين فى العلم يلزم ان تكون جامعاتنا ومعاهدنا العلمية فى العلوم الايجابية على نسق الجامعات العالمية التقدمية ، فالذرة مثلا

التي لانكاد نعرف عنها الا امورا نظرية فقط ، نجدهم يتداولون اجهزة رنين النواة والمجهر الالكتروني والدماغ الالكتروني وغير ذلك من الآلات العالية الثمن والحديثة ببساطة جدا كما يلعب عازف البيانو الماهر على البيانو ... الخ

فهم يبدأون فى البلاد التقدمية باعطاء الطفل الالعاب العلمية التي يرى فيها لذة ومتعة وشحذا للملكات ، ولا يكاد الطفل يمشي عندهم الا وتكون العابه تخدم غاية علمية صناعية يأخذها لهوا ولعبا وفرحا ومسرة . وكم من اساطين العلم فتقت هذه الالعاب قابلياته فكان من كبار المكتشفين فى العالم .

ان نقطة هامة لا نفهمها حتى الآن ، الا وهي ان كل ابداع فى الفكر لاياتي عن طريق القسر والاكراه ، لانهما يبعثان الكدر ، بل عن طريق الانطلاق وهذه تبعث السرور والفرح ، ففي الاول تنكمش النفس وفي الثانية تتفتح .

ان الدراسة العالية تبنى على الدراسة المتوسطة وهذه على الابتدائية ، حتى انه لايكفي للطالب ان يرى الاجهزة بل لابد له من ممارستها ومعرفة فائدتها العلمية .

ان تقدمنا فى العلم كثيرا لاينفعنا بل ينفع غيرنا ، كم من ذوي الهمم العالية من العرب ذهبوا للتخصص فى الغرب ، وقليل منهم قد رجعوا الى الوطن .

وقد سألني احد المخبرين الصحفيين : هل في الامكان وجود متخصصين فى الذرة عندنا ؟ فاجبته انه فى الامكان ذلك على الشرط الدأب والعمل المتواصل فى حقول العلوم الطبيعية من الفيزياء ، والكيمياء ، على ان نقوم قبل كل شيء بالتحرر العقلي والقضاء على الجمود الفكري ، واقرار مبدأ التحرر الذاتي والبحث الشخصي ، وبدون هذا المبدأ لا يمكن لنفوسنا ان تتهيأ لفهم العلوم الطبيعية فهما جيدا . ومن الضروري فتح باب البحث والاستقصاء على مصراعيه لنسير فى طريق الكشف والابداع .

ان المبدأين العظيمين من التحرر والانسانية ، هما ضروريان فى جميع مراحل البحث العلمي ، والتحرر لابد منه خاصة فى المرحلة الاولى من فهم الطبيعة ، حتى اذا لم نقم فى عمل الخطوة الاولى ، فلا يمكننا متابعة السير ، طبعا انه ليس من الضروري تقديس شخص معين . لان هذا التقديس مخالف لمبدأ التحرر والانعتاق وعدم الخضوع الاعمى . من الضروري اذن الارتكاز على مبدأين : التحرر الفكري والرحمة والرافة ..

فنحن هنا ايضا على مفترق الطرق ، اما ان نعرف هذا الاقتباس الذي من شأنه ان يوصلنا الى الابتكار مع مراعاة الرحمة والانسانية ، او نعيش على هامش الحياة فاقدي العزة والكرامة ، فلا يكفي ان نعيش ونقهر الموت

بل نود عيشا لائقا بعيدا عن الذل والهوان . والخطر جاسم بابادتنا كما سبق لشعوب اوروبا وابادة العرق الاحمر من سكان امريكا الاصليين ، رغم وجود حضارة لهم ؛ كما اثبت البحث الاثري ذلك . ولم يبق منهم الا عدد قليل جدا ، يريد المهاجرون الاوروبيون المحافظة عليهم ، كما يحافظ الانسان على نوع غريب من الحيوان .

نحن بحاجة شديدة لتبديل النزعة السكونية « ستاتيك » التي تفضي الى الشلل والاستعاضة عنها بنزعة حركية « ديناميكية » رائدها الانتقال من القول الى الفعل .

برهنا فى مناسبات عديدة على امكانية الفرد ونشاطه وحيويته ، ولكن يجب علينا معرفة كيفية ضم جهود هؤلاء الافراد الى جهود جماعة قوية ، لان جهد الفرد لا قيمة له تذكر بجانب جهود الجماعة . فالفوائد الناجمة عن التضامن والتعاون والتعاطف المنظم لا يمكن حصرها ، وان الاضرار التي تحدث من فقدانها عظيمة جدا ، وقد تكون السبب فى تدهور الامة وسقوطها . ان تطوير الميول والعواطف التي تؤلف خميرة الحياة الاجتماعية حجم الفوائد للبلاد والعباد ، فيجب علينا تعوده لنتلافى اخطاء وقعنا بها في الماضي .

اذا سأل احد منا المانيا المغلوبة على امرها ما رايها بعمل هتلر السابق ؟ وجد الالمان لايقولون ان هتلر اخطأ ، بل يقولون نحن اخطأنا فى زج انفسنا فى الحرب الماضية ، لانهم يعتقدون ان ذلك الرجل هو فرد منهم لا قدرة له بالسيطرة عليهم وقيادتهم رغم انفهم وفيهم حيوية ونشاط .

ان الشعور بالمسؤولية العامة التي يجب على الامة ان تتحملها هو الذي يخلق الوعي الاجتماعي

ويصحح الاخطاء الماضية ، اما اذا القت الامة التبعة على كاهل فرد من الافراد وابتعدت عن التفكير في المصير وايجاد حل جماعي ، عند ذلك يكون من الصعب عليها السير متكافلة متضامنة الى الامام .

نعم لقد دبت الحياة الجماعية فينا ، ولكن يجب علينا طلب المزيد من ذلك ، وان لا نكون قانعين بهذا القدر اليسير ، فرجال التربية والاجتماع يرون قوة المجتمعات البشرية وقدرتها لاتتعين بعدد الافراد الذين يؤلفونها ، بل تتناسب مع شدة الروابط التي تربط بعضهم ببعض . ويضربون لذلك مثلا بأن صلابة الاحجار والصخور لاتكون لعظم حجومها ، بل تتناسب مع تماسك اجزائها ، فتشبه بعض الامم بالاحجار اللينة وبعض منها بالاحجار الصلبة واخرى بالصخور الصلدة . واذا كنا من الذين يريدون مقاومة الانواء والعواصف للاعراب عن وجودنا ، فعلينا ان نكون كالجلاميد القاسية ، لا كالتراب الهش الذي يتفتت لاية صدمة من الصدمات ولا يقاوم هبوب الرياح .

ان مثلنا اليوم كالمثل المضروب عن فقيه صحب نوتيا في نزهة بحرية في سفينة ، فسال الفقيه النوتي ، هل تعرف البلاغة ؟ فاجاب النوتي بلا ، فقال الفقيه اضعت نصف عمرك ، ثم ساله عن البديع والعروض وغيرهما ايضا ، فلما كان الجواب كذلك نفيا في كل مرة ، كان الفقيه يصرح له بانه اضاع في كل اهمال لهذه المواد جزءا من عمره . ولما عصفت زوبعة بالسفينة واوقعتها في البحر ، سأل النوتي الفقيه : هل تعرف السباحة ؟ فاجاب الفقيه بالنفي ، عند ذلك قال النوتي : والآن اضعت عمرك كله ! ! وفي ذلك تذكرة لاولي الالباب .

نحن على مفترق الطرق في كل امر من امورنا ، فاما حياة او موت ! وفي قلب بلادنا العزيزة تكمن شرذمة من شذاذ الآفاق تريد القضاء علينا ، القضاء المبرم . وعلى قدر ادراك عظم المسؤولية الملقاة على كاهل امتنا جميعا يكون حظنا في النجاح والنصر المبين .